بيروت / الجسد الخرافيّ

إلى فيروز
وفاءً لِلُحَيْظاتٍ منذورة للأبديّة

وفاء العمراني

شَدَدْتُ إِلَيْهَا رِئَةً
مِنْ رَوْحٍ قَدِيمٍ ضَافَرَ الأَنْحَاءَ
وترتيلةً من خُشُوعِ الْخَلاَءْ
مَسَافَاتٌ تُعَرِّي الْمُتَشَابِكَ الأَبَدِيَّ
تُطَعِّمني بالنَّذْرِ
تَحْكِي عَنْ عَوْدَةِ الْبَدْءِ
تَرْسُمُني خَرِيفاً هَيُوباً
أَشْمَسَ من أَلَقِ الْوَعْدِ / انْخَصَبَ
عَلَىٰ حَدَقِ السُّؤَالْ
أنا الْمَشْدُودُ لأَحْوَالِكِ بَيْروتُ
بأَلْفَيْ فِرَاقْ
أَأَنَا أَنَا
أَمْ رَعْشَةُ افْتِتَانٍ لاَ يَغِيبُ
أَمْ خَطْوِي أَوْرَاقُ الذُّهُولْ؟!
يا شَبَقَ الْغَيْمِ يُشَرِّبُني
يَا شَهْوَةَ الْجَلاَّدِ في دِمَائي
يا دَوْخَةَ النَّشوةِ
جذْوَةَ الْمَوْتِ
عُنْفَ الرَّحِيلِ
خَفِيَّ الاحتمالْ
يا انْدِحَارَ العِشْقِ عَلَىٰ الخَوَاصِرِ
يا سِيقَانَ التِّيهِ
فَوْضَىٰ التَّجَسْدُنِ

يَا الْـ . . جَمَالُ أَتْخَمَهُ الجَمَالْ . .
يُرَنِّحُني جَمْرُكِ الْمُرْفَضُّ /
يَتَنَوَّرُ من حَفِيفِيَ هٰذا الْغُبَارْ
تَزْرَقُّ لَهْفَتِي
بِعَقِيقٍ من شَوْقٍ خُرَافِيٍ
كَانَ قَدْ أَسَّسَ بَعْضِي /
طَعْمٌ من إِمْكَانٍ أَعْرِفُهُ
غَمْرٌ من عُذُوبَةٍ مُشَعَّعَةٍ
وَاكَبَتْهَا إِيقَاعَاتُ الْعُثُورْ
يا لَلْفَنَاءِ . . يا لَلْيَقْظَةِ الْعَذْرَاءْ!
بَسَطْتُ لَكِ اسْمِي /
انْقِبَاضِي انْبِلاَجِي ارْتِضَاضِي جُمُوحِي
خَضْخَضَةَ الْمَسَامِّ صُعُودَ الدِّمَاءِ صَهِيلَ الرُّوحِ
دَهْشَةَ التَّعَرُّفِ فَتْكَ الأَضْدَادِ عَنَاقَةَ الْبَذْرَةِ
زَهْوَ الْمَاءِ مَعَارِفَ النَّارِ مَوْجَ الانخطافِ
نَفْيَ الْحَالاَتِ وَهْجَ الاكْتِشَافِ ذُهُولَ الْوُلُوجِ
لَظَىٰ الاِنْصِهَارِ سَعِيرَ الْقَوْلِ حُمَّىٰ الْعِبَارَه
تَهيَّأْتُ /

انْدَلِعِي

صَعِّدِيني
سُلِّي امْتِزَاجِي
خُذِيني أَبْجَدِيَّةً شَهَّاءَ
اسْتَفْرِغِي كَثْرَتِي

اسْتَوْثِقِيني
اسْتَزْرِعِي شَرَارِي قُرْنُفُلاً

ثَلْجاً
هَوَاءْ

وَانْثُرِيني وَرْداً
لِحِكْمَةِ هٰذا الْهَبَاءْ . .
«بَيْرُوتُ» لَوْ تُطِيقِينَ حُبّي
لَوْ تُطَاوِلِينَ
لَوْ . . تَسْتَعْصِينْ!
أُسَمِّيكِ التَّوَثُّنَ /
يَسْتَبِيحُني حَالاَتٍ
دَاهَمَتْ غُنْجَ «الرَّوْشَةِ»
سَارَرَتْ مَكْنُونَ «الصَّخْرَةِ»
وَاسْتَنْفَرَتْ لِغِوَايَتِهَا
مَفَاتِنَ «الْحَرِيصَةِ»
أَنْهَدَ الطُّرُقَاتْ
لِعِطْرِ ثَنَايَاكِ أن يُضَمِّخَني
بِالتَّلَفِ الشَّفِيفِ
وَلِي أن أَعْقِدَ مِنْ وَحْشَتِي
وَعُيُونِ الْعُشَّاقِ
مُؤْتَمَراً لِلْبَهَاءْ . .
أَوَّلُ الطَّرِيقِ إلىٰ اللهِ
أَزْمِنَةٌ مَجْدُوعَةٌ
لُغَةٌ ضَارِبَةٌ في الأَشْيَاءِ
تَغَرُّبٌ خَرْقٌ مَتَاهْ
أَتَزَيَّا بِالنَّزْفِ خَارِجَ نَزْفِي
مِنْ أَشْلاَئِكِ أَبْدَأُ
أَحْتَمِلُ
أَكُونْ /
يَتَعَرَّفُنِي دَمٌ أَضْرَمْتُ لَهُ الْعُمْرَ
شَهْقَةَ شَمْسٍ

وَانْقَصَفْتُ عَلىٰ هَذَيَانِهِ
ذَبِيحَةً وارْتِحَالا . .
كُلَّمَا أَوْغَلْتُ في الْغِيَابِ
أَشْرَعَنِي الْغِيَابُ عَلَيْكْ
إِيهٍ زَمَنِي الْقَادِمَ / هَوَايَ الْقَدِيمَ /
لُجِي الآتِيَّ / نَسَبِي الْمُخَلَّ . . .
«صِنِّينُ» بَلاَغَةٌ تَغْتَالُ الشِّعْرَ
«صُوُر» قُفْلُ التَّارِيخِ
«صَيْدَا» تَعْفُرُ بالأبَدِ
«النَّبَطِيَّةُ» ضَوْءٌ يُضَلِّلُ السُّكُونَ
«اللّيطاني» تَشَرُّدُ جُرْحٍ عَلَىٰ
قَمِيصِ الْجُنُوبْ
وهٰذا الْقَلْبُ شِرَاعٌ منْسيٌّ
بَيْنَ خَرَائِبِ الْفَرَحِ
خَلاَّنِي عَنْهُ عَنَتٌ لاَ يُطَاقُ
وَتَوْأَمَتْنِي إِلَيْهِ الْمَسَافَهْ
عَمَّدْتُهُ بِنُبُوءَةٍ مُشْتَهَاةٍ
لَحْظَةٍ مِنْ مَوْتٍ
وَرَحِيقٍ من كِبْرِيَاءْ
بَارَكْتُهُ صُعُوداً إلىٰ اللهِ
تَلَبَّسْتُ غَيْمَهُ
هَدَيْتُهُ انْفِلاَتِي
لٰكِنَّني ؛
تَرَكْتُهُ عِنْدَ حَافَّةِ الْمَجِيءِ
أُغْنِيَةً جَنُوبِيَّةً سَمْرَاءَ
تَعْشَقُها جَمِيلاَتُ النِّسَاءْ
وَيَمْتَحُّ خَوَاتِمَهَا
نَزٌ قَابِعٌ عِنْدَ مَقْهَىٰ
الأُدَبَاءْ . . .

بيروتُ / نهايات أيلول
١٩٩٢